إضاءة

يُحسَب للمستشرق بولندي الأصل (1808-1887) ترجمته القرآن إلى الفرنسية ووضعُه معجماً عربياً فرنسياً ما يزال حتى اليوم عوناً للباحثين، رغم مرور قرن ونصف القرن على ظهوره. كيف تمكّن من إتقان هذا الكمّ من المعارف في اللسان العربي في فترة وجيزة؟

نجم الدين خلف الله

## ألبير كازيمرسكي من جذور العربية حتى فروعها

# معادلات الترجمان وأسراره

من بين الانتقادات التي طالما وُجّهها محمد أركون (1928 - 2010) إلى الاستشراق التقليدي، بروزُهُ وعدم انخراطه في قضايا العالم الإسلامي ودراسة تاريخه ولُغاته كما لو كانت مواضيع ميّتة. لم أكن أفهم هذا الانتقاد، بل وكنتُ أتحفّظ عليه نظرًا إلى أنّ أولى فضائل البحث العلمي هي المسافة في التعاطي مع الموضوع. ولم أعِ هذه النقطة حتى تعاملتُ، ولسنين طويلة، مع أعمال المستشرق بولندي الأصل البير كازيمرسكي (1808 - 1887) الذي ترجم القرآنَ إلى الفرنسية فزاح عملُه طيلة القرن التاسع عشر وطُبع عديد المرّات واغترف من دقائقه سائرُ المستعربين.

بدأ الرّجل تعليمه في مدرسة ابتدائية بقرية كرشو البولندية، حيث أتقن الفرنسيّة والألمانية واللاتينيّة والإنكليزيّة، وبعدها انتقل إلى الجامعة وتحصّل على شهادة الماجستير في العلوم القانونيّة ثمّ اشتغل مُحامياً. وما لبث أن هاجر إلى باريس سنة 1833، ليتضلّع في العربيّة لدى أكبر المستشرقين الذين كانوا يُدرّسون آنذاك في «معهد اللغات الشرقيّة»، ومن أشهرهم سيلفستر دو ساسي (1758 - 1838).

وبعد إتمام عُدّته من علوم الضاد، أصدر كازيمرسكي معجماً عربيّاً - فرنسيّاً، ظهر جزؤه الأوّل سنة 1846 والثاني سنة 1850. إلّا أنّه لم يُمهّدْ لمعجمه هذا بأيّ تقديم، ممّا ضاعف الأسرار التي تكتنف ظروف تأليفه. فقد جرت العادة أن يصوغ كتّابُ المعاجم مُقدّمات يُبيّنون فيها مناهجهم في جمع موارد اللغة ومبادئ ترتيبها ويذكرون مصادرهم وظروف عملهم. صمتٌ مطبق. التمهيد الوحيد صفحةٌ يتيمة أورد فيها الرموزَ التي استخدمها في ثنايا كلّ تعريف، مثل حرف V لكلمة «فعل». على أنّ نظام الاختصار أداة منهجية مفيدة في تقديم المادة التعريفيّة دون حَشْو أو تكرار.

وأمّا المتن الذي استحضره كازيمرسكي، فهو العربية الكلاسيكيّة أساساً، ثم المعاصِرة، أيْ: الكلمات القليلة التي انضافتْ، منتصف القرن التاسع عشر، إلى الضاد، وهي من القلّة بحيث خُصّص لها رمز Mod. تلخيصًا لـ Moderne أي: حديثة. وعلى سبيل المثال، عندما شرح مفردة: «طبْع»، ذكر معناها الكلاسيكي: «صَنع السيوف»، ثم أضاف معناها الجديد: طبع الأوراق والكُتب، مما يؤكد أنّ الرّجل اعتمد على ما كان يُعاينه في تاريخه. ومن المفيد في درس التوليد اللغوي استخراج كل التواريخ التي ظهرَ فيها هذا الرمز، Mod، من أجل الوقوف على ما اعتبره الكاتب مُولّداً مستحدَثاً.

هذا، وقد بنى كازيمرسكي مُعجَمه على ثنائيّة الفصيح والعامّي، الذي أطلق عليه، مثل سائر مُعاصريه، اسمَ: Vulgaire، وتعني المفردة اليوم: السّوقي أو المبتذَل، وذلك في استحضار لمفهوم «الازدواج اللغوي» (Diglossie) الذي يدلّ على وجود تراتبيّة هَرميّة بين الفصيح والمحكي، واعتبار هذا الأخير سجلّاً ناقصاً، بل ومنحرفاً عن الأول. فكان يُودع كلمات من مَحكيّات المَغرب العربي، ولا سيّما الجزائر التي استعمرها الفرنسيون بدءً من 1830.

وكان غالباً ما يلجأ إلى الشّرح الجُمَلي من أجْل إيصال المعنى للقارئ الفرنسي، عبر استخدام البِنية Périphrase، ولا سيّما في مقولات الثقافة البدويّة العتيقة، التي لا مُقابل لها في اللغات الأوروبيّة، ولا تتوفّر على كلمة وحيدة لنقلها، فكانَ يُحرّر محلّها جملة كاملة ليشرح المعنى، وهو منهج سائدٌ طيلة الكتاب. ومن طرائفه أنّه كان يضيف بين مُعقّفين عبارة Se dit de، أي: يُقال عن... حتى يوضح ما صدقُ المعنى وما يدخُل ضمنه، فيحدّد ما تنصرف إليه كلّ كلمة والمُراد منها عاقلاً أو غير عاقل. وهذا ما فعله مثلاً مع مادّة «ضبح»، التي تُطلق على النّار والإنسان والخَيل.

وأجاد الرّجل في نقل الأمثال العربية القديمة وترجمتها إلى لسان مولييرَ، محاولاً إيجاد معادل دقيق لها. وكما هو معلومٌ، فتَرجمة الأمثال والصيغ المسكوكة من أعقد المهام لما تَتضمّنه من حِكَم تعكس المخزون الشعبيّ والثقافيّ. كما تُرجم، عندما يَسمح السياق، بل ومنحرفًا عن الأول. فكان يُودع كلمات من

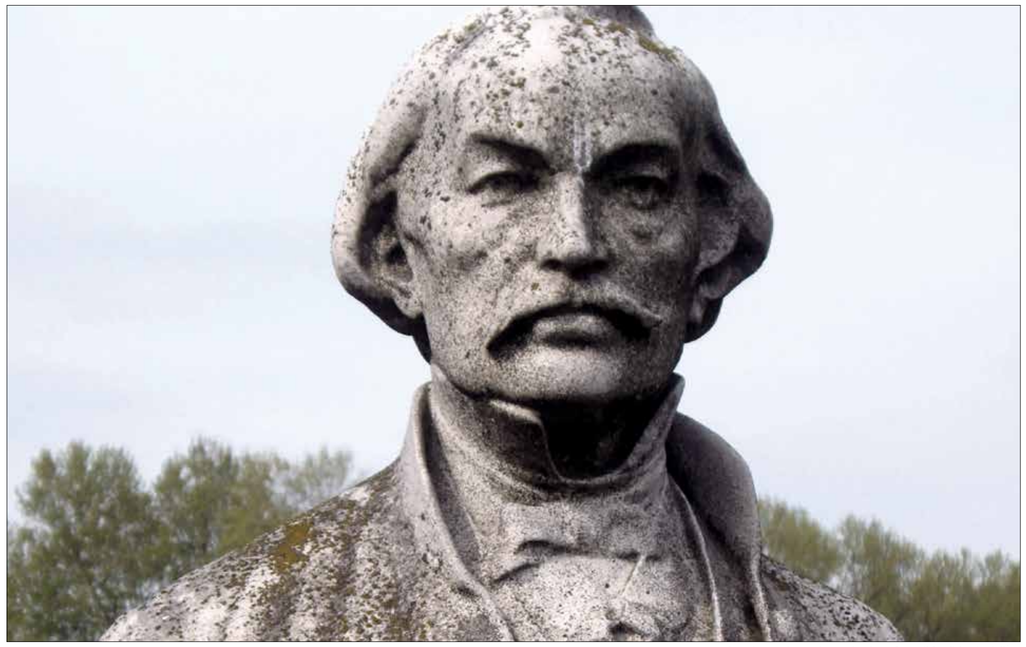

تمثال نصفي لـ البير كازيمرسكي على ضريحه في مونتروج، جنوب باريس

### بين اللغات

إلى جانب وضعه ترجمةً للقرآن وتأليفه معجماً عربياً - فرنسيا (الغلاف)، نقل كازيمرسكي من الضاد إلى لغة موليير عددا من الأعمال، من بينها حكاية «أنيس الجليس» الواردة في «ألف ليلة وليلة»، التي اصدرها في طبعة مزدوجة اللغة في باريس عام 1846. وأشرف على تحقيق ترجمات من العربية إلى الفرنسية، ووضع موجزا لقواعد اللغة الفارسية ارفقه في كتاب لتسهيل تعلّمها وتعلّم الفرنسية، اسماه «حوارات فرنسية فارسية» (1883).

> أعملَ عقلا رياضيا صارما على متن الضاد قديماً وحديثاً
>
> ميّز الكلمات العربية المستحدثة والمولّدة عن الأصيلة

الآيات القرآنية العديدة التي كان اللغويون القدامى يرصّعون بها أعمالهم كشواهد. ولا نستبعد هنا ، وهذه فرضيّة نضعها بين أيدي الباحثين لأوّل مرة ، أنّ الترجمة الكاملة للقرآن التي أنجزها كازيمرسكي سنة 1860، والتي أعاد طبعها محمد أركون ثم جاكلين الشابّي، تَضرب بجذورها العميقة في هذا المعجم الذي احتوى ترجمتَه لآيات مُتفرّقة، ولعلّه فكّر بعدها بإنجاز ترجمة شاملة.

ويبقى سِرّان لم يُكشفا بعدُ: كيف تمكّن الرّجل من إتقان هذا الكمّ الهائل من المعارف في اللسان العربي في فترة وجيزة، رغم أنّ اختصاصه الأول كان في اللغة الفارسيّة، حيث عمل مُترجماً عنها في وزارة الخارجية الفرنسية، وأذى زيارات دبلوماسية إلى إيران، فضلاً عن ترجمته لنصوص أدبية منها. ومن جهة ثانية، لا ندري إن كان قد انطلق من ترجمة معجم عربي - عربي مثل «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، أم أنه اعتمد على ذاته. وقد أثار الباحث عبد الحميد دريرة، في إحدى مقالاته، الشكوك حول إمكانية إنجاز مثل هذا العمل النفيس، وعبّر عن فرضيةٍ مفادها أنّ كازيمرسكي قام بترجمة المعجم اللاتيني العربي الذي صاغه جورج فريتاغ (1788 - 1861). إلّا أنّ المقارنة بينهما لا تدل على هذا المسار، بل لعلّها تَنفيه. وفي ظل معلوماتنا الراهنة، لا يسعنا سوى أن نُقدّم فرضيّات ونمشي على البَيْض.

هكذا، أعمل كازيمرسكي عقلاً رياضيّاً صارماً، ذا خلفيّة قانونيّة في الدقّة والتحرير، على متن الضاد القديم منها والمعاصر، فرتّبه ترتيباً فحكماً، لا يغادر منه شاردةً ولا واردة، فكانَ يعود إلى الجذر الثلاثي أو الرّباعيّ للمفردات ثم يَعرض الأفعال التي تتدفقُ منها عبر منطق الاشتقاق ومعادلاته، حسب الصيغ الغشر، ثم يورد ما يائتلف من الأسماء مُقدّماً المقابل الفرنسي الدقيق، وإن أعوزه ذلك مرّ إلى شرح وجيز يَكشف به النقاب عن الدلالة، وكان يتوّج المَدخل المدروس بذكر الآيات والأحاديث والصيغ التي جرت مَجرى الأمثال، ولا يغفل أسماء القبائل والأعلام ممن لهم صيتٌ في الحضارة الإسلامية القديمة، وقد يضيف مُفردات من المحكيات العربيّة، وهو ما جعل عمله نصّاً جامعاً لما انتَثَر من معاني الضّاد، مُرتبةً حسب الصيغ والأوزان، وكل معنًى مرقّم بشكل صارم.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

يوميات

نُلملم عزلتنا ونرصّها في علب كبريت صغيرة

# رقصة الموت

المرفأ الوادع المطلّ على المتوسّط ينفجر؛ تتحطّم المدينة، واجهاتُها الزجاجية إسفلتٌ جديد للأرض. المأساة أكبر من أن تتقبّلها عقولنا، الأرض ترتعش تحت أقدامنا، وحده الليل يبشّرنا بأنّ لا غد يجمعنا. لم نمت، لم نتشوّه، وحدها النفوس تشرّدت. سنرقص...

عبد القادري

لا تدخل هذه الغرفة إذا استطعت... هناك ستواجه أسوأ مخاوفك وراء قناع من الفرح؛ لا تفتح الباب إذا أمكن، فخلفه تنتظرك هياكل عظمية لها أشكال إنسان؛ ستنسى تاريخك وبطاقة تعريفك والعالم الأكبر الذي انطوى داخلك، وستسقط تدريجياً في فجوة الإدراك. لن تكتشف ذلك إلّا بعد فترة لا بأس بها من الزمن؛ حين تفقد الكثير ممّا لديك من اتّزان وقيم؛ ستفقد ربّما أحبّ الناس إلى قلبك، وستفقد بلا شكّ شعاع النور الذي رافقك وطُبع على جبهتك ساعة الولادة وكلّ حضورك لتُهب العالم ما أمكن من الحبّ والصدق والرحمة. منذ مدّة، كشفت «منظّمة الصحّة العالمية»، في دراسة نُشرت في اليوم العالمي لمكافحة المخدّرات، عن التزايد المخيف والصادم لاستخدام المخدّرات بين فئة الشباب منذ بدء الجائحة، وقدّرت الأرقام بنحو 275 مليون شخص في العالم، لعام 2020. الدراسة والأرقام تزامنت مع مجموعة أعمال فنية بدأتُ العمل عليها قبل شهرين حول الموضوع نفسه.

لقد فرضت العزلة التي عاشها العالم حالات مختلفة من الهروب من الموت المحدق بنا؛ من رعب أرقام الوفيات والشعور بأن السماء تغلق أبوابها الكثيرة في وجه أحلامنا. حالة الاختناق التي كنا نعيشها استدعت عند الكثيرين الرغبة بالتحليق قبل أن يقطع الوقت أجنحتنا. هكذا، قرّرنا أن نطير دون أن نفكّر بألم السقوط بعدها. وبيد أن ذلك استدعى بعض الطقوس التي فرضت نفسها لخلق عالم موازٍ؛ حقيقةٌ متخيّلة من الفرح. الرقص تحت وقع المخدّر كان واحداً منها. إنه السعي السريع لسعادة مؤقتة؛ سعادة سنكتشف لاحقاً كم هي قاسية وموحشة. إنها رقصة الموت التي تُذكّر اليوم بذاك المصطلح الذي عرفتْه أوروبا في أواخر القرون الوسطى، وتحديداً مع المجاعة وحرب المئة عام في فرنسا، والأهم والأكثر عنفاً اجتياح الطاعون الأسود - أو ما عُرف بالموت الأسود - أنحاء أوروبا ما تسبّب بموت ما لا يقلّ عن ثلث سكّان القارة. جاء المصطلح ليذكّر الناس بهشاشة الحياة وكم هي زائفةٌ أمجادُهم على هذه الأرض. يبدو أننا اليوم نعيش حالة مماثلة، وأن وسط كل هذا الموت الذي حاصرنا لم يكن في حيلتنا إلّا الرقص. لا شيء حقيقيٌّ؛ فلنرقصْ؛ لا بدايات ولا نهايات. الأرقام في حياتنا لها أسماء الوفيّات ونحن على قيد الانتظار نتربّص. نُلملم عزلتنا وأحزاننا ونرصّها في علب كبريت صغيرة ونرميها جانباً عند المنصّة الصدئة. الرقص في بيروت لا يشبه الرقص في مدن العالم الأخرى. الرقص هنا على أنقاض مدينة تحتضر...

في خضمّ ثورتنا الأخيرة دُمجت موسيقى التكنو مع كلمة ثورة، وكانت القبضات ترتفع عالياً على وقع الأجساد التائهة. حينها، بدأ اليأس والتعب يتسلّل الى أجساد مَن في الشارع لإسقاط منظومة نحن ابتدعناها وباركنا وجودها لأكثر من ثلاثين عاماً. دخلنا في عملية تمسيخ الوعي وحرق الأوراق. انطفأت الثورة... لم تنطفئ؛ لا يهمّ؛ ما زلنا نرقص. حظر تجوّل... عزلة... يُحاصرنا الموت، لا أماكن للرقص؛ الأبواب كلّها مُوصدة؛ فلنرقص في غرف منازلنا؛ فلنرقص كأعنف من آيّة جائحة؛ فلنبتسم للموت المحدق بنا؛ فلنبشّر بالقيامة المشتهاة. بطاقات ائتماننا صارت سيوفاً تحفّ رقابنا، وما جُمع في العمر صار تراباً. لا يهمّ؛ فلنرقص...

المرفأ الوادع المطلّ على المتوسط ينفجر؛ تتحطّم المدينة، واجهاتُها الزجاجية إسفلتٌ جديد للأرض. المأساة أكبر من أن تتقبّلها عقولنا، الأرض ترتعش تحت أقدامنا، وحده الليل يبشّرنا بأنّ لا غد يجمعنا. لم نمت، لم نتشوّه، وحدها النفوس تشرّدت. سنرقص...

قبل أشهر ونحن في ذروة النشوة تساقطوا من حولي واحداً تلو الآخر؛ أحداقٌ أعينهم الواسعة لم تحتمل كلّ هذا الفرح.

هُم يُدركون جيّداً أن الرقص مراسمُ موت أيضاً. امتلأت الغرف بأجساد باردة سقطت في هوّة الوهم.

(تشكيلي من لبنان)

> نحن أكثر جمالاً وحرّيّة عندما نكون على حقيقتنا

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

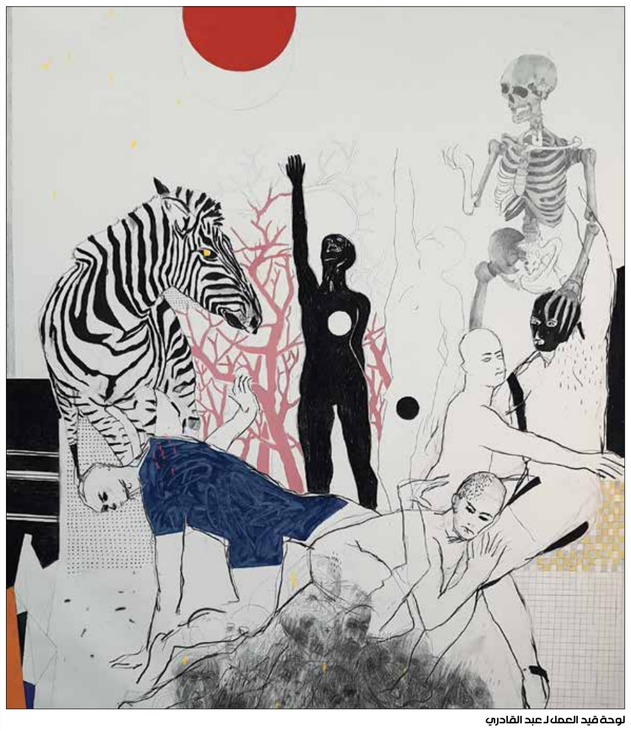

لوحة قيد العمل لـ عبد القادري

إطلالة

سنواتٌ لا يغادرها العنف

# لمن تُقرع الأجراس؟

صحيحٌ أنه من الصعب أن تنجح طريقة غاندي دائماً، ولكن ليس من الصعب أن نقرع الأجراس تأييداً لها، فيما لو أردنا السلام للبشرية

ممدوح عزام

في عام 1940 كتب همنغواي روايته عن الحرب الأهلية الإسبانية : «لمن تُقرع الأجراس»؛ تلك هي الرواية المبكرة عن الحرب التي شارك فيها إلى جانب الجمهوريين. أخذ الروائي لحظةً واحدة من الحرب، يروي فيها عن تلك الأيام التي يستعدّ فيها روبرت جوردان، الشخصية الرئيسية في الرواية، لتفجير أحد الجسور تمهيداً لهجوم الجمهوريين على الفاشيين. لكنّ تلك الأيام تشهد استعادة لزمن الحرب كلّه عبر منولوغات حيّة لمعظم الشخصيات المشاركة في صناعة الحدث أو الرواية، يسجّل بعضها أشكال العنف الفظيعة التي مارستها القوّات الفاشية ضدّ الجمهوريين وضدّ كلّ من وقف إلى جانب قضية الحرية.

غير أن الضمير اليقظ الحيّ للروائي، والحسّ الأخلاقي الرفيع، جعلاه يرفض أن يخون الحقيقة؛ فإذا كان قد انحاز إلى جانب الجمهوريين في معركتهم ضدّ الفاشية، فقد رأى أن رفاق الطريق قد مارسوا عُنفاً وصل - كما في المشهد الذي تسرده ببلار أمام روبرت جوردان - إلى حدود غير معقولة، ضدّ الفاشيين الذين وقعوا في أسر القوات الجمهورية، أو انتصارها.

قامت الثورة الفرنسية على العنف، وكذلك أمر ثورة أكتوبر في روسيا، وكلّ الثورات التي هبّت في الشرق والغرب، ومن النادر أن تكون ثورة قد تحقّقت، أي انتصرت، دون أن يمارس منتسبوها العنفَ ضدّ أعدائهم. وفي العقود الماضية، كان بوسع اليساري أن يتحدّث عن العنف «الثوري» وهو يؤيّد حروب الثوّار ضدّ الأنظمة الدكتاتورية في أميركا اللاتينية، وكان غيفارا أكثر ممثّليه حضوراً في العالم.

ثمّة العشرات من الكتب التي تُرجمت إلى العربية لتثبيت المصطلح، أو لشرحه والدفاع عنه، والدعوة لإقامة مشاريع ثورية مماثلة تستهدف العدوّ. ربما كان وجود إسرائيل قد خفّف إلى حدٍّ بعيد من الرغبة في خوض

> تعرف ذاكرة التاريخ أنّ آلاف القضايا لم تُحلّ إلّا بالعنف

الحروب ضدّ الأنظمة العربية. وربما كان اليسار قد انفرد وحده بالتنظير للعنف حين كان بوسع صفة «الثوري» أن تُنقذه من أيّ إحراج دمويّ يمكن أن ينجم عن تلك الدعوات. في السنوات العشر الماضية، بدت كلمة العنف أكثر المفردات المُدانة والمكروهة في الواقع العربي، بينما صُورس العنف بأكثر أشكاله وحشيةً. ولم يتردّد المتحاربون في التنكيل بخصومهم - وهم أعداؤهم - بكلّ قوة. وتمّ تقديم العنف على شاشات التلفزيون، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، على أنه الحلّ الوحيد المتاح لحلّ المشاكل الطارئة. وبينما كان دأب الجميع إدانة العنف، فقد بدا الأمر كومضيداً فاجعاً: فكلّ عنف مضادٌّ وحشيٌّ ومدانٌ إنسانياً وأخلاقياً، وكلّ عنفٍ صديقٍ مشروعٌ وخيّر.

ليس لدينا في الثقافة العربية، حتى اليوم، ما يمكن أن يُسمّى «ثقافة السلم»، ولعلّ التسميات أو الصفات التي يُلحقها بعض السياسيين، والمثقّفين، بالعنف الثوري أو المشروع مجرّدُ تحلية للتملّص من المسؤوليات الأخلاقية التي تترتّب على ممارسة العنف من قبل مؤيديهم ضدّ الطرف الآخر.

تعرف ذاكرة التاريخ أن آلاف القضايا لم تُحَلّ إلّا بالعنف، وتعرف ذاكرته أيضاً أن العنف آلة تفريخ قاتلة لا تولّد إلّا نفسها. صحيحٌ أنه من الصعب أن تنجح طريقة غاندي دائماً، ولكنّ ليس من الصعب أن نقرع الأجراس تأييداً لها، فيما لو أردنا السلام للبشرية.

(روائي من سورية)

ماكس موريتي، مواد مختلفة على خشب

فعاليات

ضمن برنامج **صوت ولون**، تقيم **مؤسّسة عبد الحميد شومان** في عمّان عند الثامنة من مساء الخميس المقبل امسية موسيقية ثانية بعنوان **كلثوميات**. تتضمّن الامسية اداء الفنانة الاردنية نتالي سمعان لعدد من اغاني ام كلثوم، الى جانب عرض ثماني لوحات للفنان المصري جورج بهجوري رسم فيها كوكب الشرق.

**الفضاء السياسي والثقافي** عنوان ندوة يعقدها **المتحف الفلسطيني** في بيرزيت عند الخامسة من مساء الاربعاء المقبل، وتضيء الحراكات السياسية والثقافية في مدن الساحل الفلسطيني، ومدينة حيفا كحيّز تتمّ فيه إعادة بعث الهوية الفلسطينية. تشارك في الندوة الفنانة التشكيلية رنا بشارة والشاعرة اسماء عزايزة والصحافيان ربيع عبد ورشا حلوة، والباحث نديم كركبي.

تنظّم **مكتبة مصر الجديدة** في القاهرة عند الخامسة والنصف من مساء الجمعة المقبل ندوةً بعنوان **التنوّع الثقافي في تراث المصريين** بالتعاون مع **جمعية التراث القبطي**. يتحدّث في الندوة كلّ من الباحثة سحر حسن، المتخصّصة في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، والباحث واستاذ الإعلام رامي عطا صديق.

تنطلق مساء الجمعة المقبل فعاليات الدورة الاولى من **مهرجان مسرح مراكش الثقافي** في مدينة مراكش المغربية، الذي يتواصل ليومين. تُعرض في المهرجان عدّة مسرحيات، من بينها **عبث** لـ«فرقة سوارت شيشاوة»، و**قف** لـ«فرقة التفتّح للتربية والتكوين»، و**زنزانة البوح** (الصورة) لـ«فرقة مسرح مراكش».